# مظاهر جمال الجسد الأنثوي بين الشعر الجاهلي والشعر الشعبي الجزائري

( شعراء تبسة أنموذجا)

**أ: حميدة سعاد**
المركز الجامعي ميلة ( الجزائر)

**Résumé :**

Le poète arabe est Fasciné par la beauté spirituelle et physique depuis l'ère pré-islamiques, et le premier sujet poétique qui a attiré son attention était le corps, en particulier celui de la femme, il a décrit ses avantages en présentant les détails de ce corps dans son mouvement et son inertie. La Description a remporté une place importante, parce que pour lui la femme est la forme et l'image de la beauté.

Le poète à cette époque n'avait pas d'autre occupation dans sa vie monotone, et la femme est presque l'axe de ses préoccupations psychologiques et émotionnelles (...) La beauté de la femme est l'image idéale de la beauté "1, elle est toujours l'objet de la beauté du poète contemporain et ce que je l'ai constaté dans mes intérêts à la poésie populaire algérienne dont les auteurs connus ou non, la continuité de la même façon de la poésie pré-islamique dans la contemplation du corps de la femme, avec une description sensorielle et le considéré comme un centre de beauté. Les images sont similaires et c'est ce qui m'a incité à présenter cette expérience aux lecteurs pour constater que la convergence presque totale, entre deux expériences séparés par cinq siècles. –

**الملخص:**

افتتن الشاعر العربي منذ العصر الجاهلي بمظاهر الجمال الروحي والجسدي ، وأول موضوع شعري أسره كان الجسد وبخاصة جسد المرأة، إذ افتتن بوصف محاسنه بالوقوف عند دقائق ذاك الجسد في حركته وفي سكونه و نال الوصف مكانة بارزة عنده، لأن المرأة هي " جماع مظاهر الجمال و صوره فالشاعر الجاهلي كان لا يشهد غيرها في حياته الرتيبة، و هي تكاد تكون لذلك محور اهتماماته النفسية ووثباته العاطفية (...) إن جمال المرأة هو الصورة المثلى للجمال"[1]، و ما تزال المرأة محور للجمال لدى الشاعر المعاصر.

و ما لمسته كوني مهتمة بالشعر الشعبي الجزائري سواء الجمعي أو معروف المؤلف هو استمراره بنفس طريقة الشعر الجاهلي في تأمل جسد المرأة ، ووصفه وصفا حسيا واعتباره مركز الجمال فأتت الصور متشابهة وهو الأمر الذي دفعني لعرض هذه التجربة حتى يلمس القارئ ذلك التقارب العجيب بين تجربيتين تفصل بينهما قرابة خمس قرون.

**ماهية الجسد**

**مفهوم الجسد معجميا:** ترد اشتقاقات مادة (جسد) في الاستعمال اللغوي بمعان مختلفة وفقا لطبيعة الاستعمال أو التوظيف اللغوي له بمقتضى الحال و السياق، فقيل" جسم الإنسان و لا يقال لغيره من الأجسام المتغذية ، و لا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض(...) قال ابن سيده: و قد يقال للملائكة و الجن جسد، غيره و كل خلق لا يأكل و لا يشرب من نحو الملائكة و الجن مما يعقل فهو جسد" [2] ، كما نجد للجسد معاني لا تنحصر فقط في جسم الإنسان و إن كانت أكثر خصوصية به فالجسد قد يعني الهيئة و اللون و لهذا قيل" الجاسد من كل شيء ما اشتد و يبس، و الجَسَدُ و الجَسِدُ و الجَاسِدُ و الجَسِيدُ الدم اليابس و قد جَسِدَ ، و منه قيل للثوب: مُجَسَّدٌ إذا صبغ بالزعفران"[3]

و في القرآن الكريم ورد لفظ(جسد) في مواضع منها قوله تعالى" فأخرج لهم جَسَدًا له خوار"[4]، و قوله تعالى"و ما جعلناهم جَسَدًا لا يأكلون الطعام"[5]

ففي الآية الأولى ورد لفظ الجسد غير متعلق بجسم الإنسان ، و في الآية الثانية ورد متعلقا بالإنسان، فيتضح من مادة جسد أنه أن الجسد هو جسم الإنسان و لا يقال لغيره من خلق الله، و هذا تخصيص خاص بالإنسان، ثم تلحق صفة الجسد بالملائكة و الجن فهذه المخلوقات الثلاث تشترك في امتلاكها لشكل حقيقي لأجسامها، أو بالأحرى نقول شكلين الشكل الذي خلقها الله عليه و الشكل الذي تظهر به أي هوية الجسم ، كما أن الدم و الثوب هما من الصفات التي يختص بها الإنسان.

و فيما ورد في لسان العرب من مادة(ج.س.م) أن " الجسم جماعة البدن ،أو الأعضاء من الناس ،و الإبل ،و الدواب و غيرهم من الأنواع العظيمة الخلق(...)، و رجل جسماني ،و جثماني إذا كان ضخم الجثة، و قد جَسُمَ الشيء أي عظم فهو جَسِيمٌ"[6].

إذن فمعاني الجسم تدور لغويا حول العظمة ،و الضخامة ،و الامتلاء ،و بذل الجهد المستمد من الهيئة الجسمية.

و إذا بحثنا في مادة(ب.د.ن) فنجد" بَدَنٌ: بدن الإنسان ، جسده و البدن من الجسد سوى الرأس و الشوىن، و قيل هو العضو و اللحم و خص به أعضاء الجزور، و الجمع أبدان(...) ، و رجل بَادِنٌ: سمين جَسِيم، و الأنثى بَادِن و بَادِنة و الجمع بدْنٌ و بُدَّنٌ،(...) و بَدُنَ الرجل: أسن و ضعف(...) ، قال الأموي : إنما هو بَدَّنْتُ بالتشديد يعني كبرت و أسنت، و التخفيف من البدانة و هي كثرة اللحم"[7].

إذن فمعاني البدن في المعجم حول الامتلاء و الضخامة و التقدم في السن، و ابن منظور ينبهنا إلى أن البدن هو الجسد مستبعدا الرأس و الأطراف لأنها لا توصف بالسمن، و بهذا يكون البدن جزءا محدد من جسم الإنسان.

و يتضح لنا مما أتينا به عن مفهوم الجسد و تفريعاته( الجسم، البدن)، أن هناك مقومات دلالية مشتركة بين(جسد، جسم، بدن) في الاستعمال اللغوي، و نحن لا نستغني عنها جميعا و نعود لها متى تطلب الحال و الموقف.

**مفهوم الجسد اصطلاحا:** يشكل الجسد الجزء الظاهر،و المرئي من كيان الإنسان، فهو إذن يدل على" كل ما يشير إلى الكيان الإنساني الذي يحتل حيزا في الوجود و في المكان، فكل الأشياء التي تحتل حيزا في المكان و تتوفر على ثلاثة أبعاد و هي :الطول و العرض و العمق ،هي أجسام ،و الجسد واحد منها، إلا أنه يختلف عنها بكونه صفة تختص بالإنسان و تمنع عن غيره من العناصر الأخرى في الصنف"[8].

فمن ميزات الجسد احتلاله حيزا في الوجود، و مساحة في المكان ما يعني أنه كيان له حجم و مادة، و المميز في الجسد البشري" هو في الواقع أنه تجسد شخص ما، إنه المكان الذي تلد فيه و تظهر رغباتنا و أحاسيسنا و انفعالاتنا و هو الوسيلة الوحيدة التي نستطيع عبرها إظهار أي نوع من الكائنات الخلقية نحن، و نستطيع أن نقيم علاقة مع جسمنا علاقة خضوع و تماثل كامل لكننا لا نستطيع العمل على التخلص من مادية جسمنا بامتلاكنا له"[9]، و كل إنسان في الأصل مسكون بجسده و لا يمكن فهمه مفصلا عن هذه الجسدانية.

و الحقيقة أنه يصعب ضبط مثل هذا المصطلح كونه بناء ثقافي و فكري خاضع لتحولات.

**الجسد الأنثوي في الشعر العربي:** لقد دأب الشعراء على وصف جسد المرأة، باعتباره شيئا قيما يشكل حضورا و فعلا إيجابيا" فالجسد ليس مجرد حيز في المكان بل هو رؤية و نقل للذات إلى الوجود"[10]، و هو قيمة جمالية بحيث نظر إليه الشاعر الجاهلي نظرة مبنية على مخيل شعري مليء بالمعاني لدرجة" أسبغ عليه صفات جمالية مثالية فائقة، قد تعطي صورة معنوية أكبر مما يراها الآخرون بها"[11]، و من تم أبدعت اللغة في استحضار ووصف الجسد، و الحقيقة أنه" لم يحدث أن استخدمت الثقافة (آلة الجسد) مثل استخدامها للجسد المؤنث فهذا الجسد كان،و لا يزال مادة للنشاط الثقافي، في بعده الخيالي و في بعده اللغوي"[12]، فمن الجانب اللغوي فإن الجسد الأنثوي و على مستوى حضوره عند الشعراء يتمظهر" بوصفه موضوعا بلاغيا تمارس فيه الثقافة ممارساتها الإبداعية اللغوية، و تستخدمه من أجل هذه الغاية إلى

درجة يبلغ معها التوظيف البلاغي للجسد المؤنث حد الغيرة و الاستنكار على أي توظيف بلاغي للجسد إذا لم يكن للأنثى"[13].

و قد استأثر كموصوف و بصورة عامة باهتمام كبير من قبل الشعراء الجاهليين، و كان امرؤ القيس هو قائد المتغزلين فقد أكثر من الحديث عن المرأة و عمد إلى وصفها وصفا حسيا، و يمكن القول بأنه بالغ في الوقوف على الوصف الحسي و كانت له نظرة جد ثاقبة في تحديد مواطن الجمال عندها.

وأغلب قصائد شعراء الجاهلية قد تناولت الجسد فكان عندهم" محمل الخصوبة و مقيم الحياة و آلهة للجمال، لأنه أصل الحياة و سر البقاء و الوجود(...)، و جمال الجسد كان يدركه الشعراء بحكم نزعتهم الحسية في تذوق الجمال"[14]، فكانوا يقفون عنده وقفة فنان متأمل في رسم لوحة ، تخرج في أحسن حلة تزينها المعاني و الرموز" فكانت المرأة بتشكيلها الجمالي دمية أو تمثالا نحته الشاعر الجاهلي ، ووجودا شعريا محاطا بالقداسة ، فغدا جسدها مثالا للجمال بفعل الدقة التي رسمتها يد الشاعر المبدع لهذا الجسد"[15].

أما في صدر الإسلام و ما بعده، فإن موضوع الجسد الأنثوي ظل على حاله فـ" الطابع المقدس الرمزي للأنموذج الجسدي الذي تبلور في حضن التعاليم الإسلامية، كان جزء لا ينفصل عن التصور أو المنظور الشعري العربي للجمال الجسدي الذي تم بناؤه منذ الجاهلية"[16].

و سواء كان هذا الشعر حقيقة أو تجربة متخيلة، مازالت المرأة ملهمة للأدباء و الشعراء، و قد شغلت حيزا وافرا في وجدان الإنسان العربي حيث كانت منذ عصر الجاهلية حتى نزار قباني عنصرا فعالا لا يغيب، يمارس بواسطته الخيال ثورته على القيود و المحرمات.

أما المرأة في الشعر الشعبي عموما و الجزائري خصوصا، فقد كان لها النصيب الأوفر و التداول الأوسع، فكانت الغرض الذي خاض فيه الشعراء بتوسع، فقد أثارت اهتمامات الشعراء و ألهمت قرائحهم بفيض من الأحاسيس، ومثلما كان لها أعلام في الشعر العربي الفصيح خلدوها فعاشت في أذهاننا ، كان لها أعلام من الشعراء الشعبيين أمثال مصطفى بن إبراهيم، محمد بن قيطون.....، إذ لا تقل أشعارهم تأثيرا عن أعلام الشعر العربي حيث في أشعارهم " نظروا إلى المرأة بحسهم مفتونين بجمالها و رسموا لوحة واضحة الملامح زاهية الألوان، و نحتوا تمثالا متحرك الأطراف مكشوف الملامح دقيق القسمات، و كل ما فيه رائع فتان يحرك القلوب و يهيج الخواطر، أودعوه تصورهم للجمال"[17]، فالشعراء لم يتركوا جزء واحدا من جسد المرأة لم يطيلوا النظر إليه فابتدئوا بشعرها و عينيها منتهين إلى ساقيها، "و هكذا تكون الصورة واحدة عند كل الشعراء، لا يختلفون قليلا إلا في تتبع أجزائها و تلوينها"[18].

و لنعرض مظاهر جمال الجسد الأنثوي عند الشاعر الجاهلي ثم عند الشاعر الشعبي.

لقد كانت المرأة و لازالت عند الشاعر العربي ملهمة للشعر و الإبداع الفني، لذلك عرفت خطوة خاصة في شعره عبر العصور و صورتها اتخذت أشكالا من الجانب المادي أو الحسي، فأطنب الكثير من الشعراء في وصف مفاتنها إما تعريضا أو تصريحا فلم يتردد الشاعر في نظم الأبيات التي يتعرض من خلالها إلى أدق تفاصيل جسد المرأة، لتتضح لنا الصورة التي أحبها الشاعر العربي الجاهلي في المرأة،و مثل هذه الصورة لمسناها في الشعر الشعبي الجزائري معروف المؤلف ومجهوله.

و وإبرازا لمكانتها نجح الشاعر الجاهلي في إجلاء مفاتنها، كما أبدع الشاعر الشعبي كذلك فابتدئوا بوصف الجسد الممتلئ و تلوه بالشّعر، و العينين ،و الحاجبين ،و الفم ،و الأنف ،ثم الصدر و النحر و العنق و النهد هبوطا إلى الخصر و البطن ،و الردف ،ثم الفخذين و الساقين، و لم ينسوا القد و اعتدال القامة.

لقد شكل الشاعر الجاهلي و كذا الشعبي جسد المرأة وفق معايير تهدف إلى" تحويل البدن الأنثوي إلى خطاب تفصيلي يستحضر الجمال"[19]، و كان أول ما تناوله الشعراء الجاهليون من خصائص جمالية للمرأة:

**الضخامة و الامتلاء:**

إن ضخامة جسد المرأة هو ما استهوى الذوق الجمالي للشاعر الجاهلي و الشاعر الشعبي، حيث يريانه رمزا لإمكانية الخصوبة و الولادة فيقول طرفة بن العبد:

**بادن تجلو إذا ما ابتسمت عن شتيت[20] كالأقاحي الرمل غر"[21]**

و يقول الأعشى:

**و شغاميم[22] جسام بدن ناعمات من هوان لم تلح"[23]**

فالشاعر الجاهلي قد نظر إلى جسد المرأة ووصفه وفقا لما يختبئ في داخله من رغبات، فأضفى عليه صفتي الامتلاء و الضخامة باعتبارهما السمات المرغوبة عند العرب ككل، حيث ترمزان إلى الأمومة و الخصوبة.

و هذه الصفة لم تغب في الشعر الشعبي الجزائري، و تماما مثل الشاعر الجاهلي آثر الشاعر الشعبي أن تكون المرأة التي يتغزل بها ضخمة الجسم ممتلئة فقيل في الشعر الجمعي:

**في الجوف[24] كلي ركبية و حضرت نهار من عيطات"[25]**

فقد سار الشعراء الشعبيون أغلبهم، على وصف جسد المرأة و تشبيهه بجسد الفرس( ركبية) حيث في ذلك رمز للضخامة و الامتلاء.

و قيل أيضا:

**شهبة[26] تسوى ألفين دورو عودة من خيار لعياد**
**خرجولها سياد يسومو عطوها لضايع لعباد"[27]**

فالشاعر هنا كذلك يشبه المرأة في ضخامة جسدها بالعودة (الفرس)، إما رمزا لأصالتها أو لضخامة و جمال جسدها و كل ذلك يحيل إلى قيمتها العالية.

و يضيف الشاعر متغزلا بروعة جسد حبيبته الذي يشبه في ضخامته جسد الفرس يقول:

**أنا صابر و الوحش قضاني[28] أجوف الشهبة الموقادة**
**في العقد سايرة بالعادة و لا لاطها[29] بركاب "[30]**

فالشاعر مولع بتشبيه جسد المرأة الضخم و الممتلئ بجسد الفرس ( الشهبة)، لما بينهما من تشابه من ناحية الامتلاء.

ويذكر الشاعر الشعبي عند وصف جسد حبيبته الممتلئ مشيتها المتثاقلة، و هنا يقرن امتلاء جسدها بثقل مشيتها يقول المقطع:

**خلخالها دوى بوذني اسمعتوا يضبح [31]في ساقها زقا**
**أكلي ماشية تدهكل[32] هاذيك ولفتي البهاتة**
**لا تعيلوني لا نغلط نا صاحبي نعرف ذاته"[33]**

فالمرأة و هي ترتدي خلخالها و تمشي متمايلة متثاقلة (تدّهكل) لثقل جسدها و امتلائه ، أثارت مشاعر محبوبها و ألهبتها.

**لون الجسد:** أمال لون الجسد فقد اختار الشاعر اللون الأبيض و جعله" لون المثل الجمالي لجسد المرأة"[34] ، فمع صفة الامتلاء يضيف الشاعر لأنموذجه المتخيل اللون الأبيض، و هو بالنسبة إليه" المانح لصورة جمالية متكاملة تقنع إحساس الشاعر و ترضي رغباته" [35] يقول إمرؤ القيس:

**مهفهفة [36]بيضاء غير مفاضة [37] ترائبها مصقولة كالسجنجل"[38]**

فأول ما تناوله الشاعر الجاهلي من خصائص جمالية بياض البشرة و الجسد، فالمرأة الجميلة" بيضاء البشرة أو صفراء أو بيضاء مشربة بالصفرة و ليست سوداء" [39]، و ذلك جلي عند امرئ القيس حيث جمال المرأة عنده يكمن في بياض بشرتها.

يضيف النابغة الذبياني قائلا:

**بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها لم تؤذ أهلا و لم تفحش على جار"[40]**

فالشاعر الجاهلي في وصفه لون الجسد، يؤكد لنا بأن اللون الأبيض أو البياض هو" التشكيل الجمالي المحض الذي أسس الشاعر الجاهلي عليه وعيه الشعري" [41]، و فيما يخص الشعر الشعبي يقول المقطع:

**جميع النسا راسهم بية ها فايزة على الخوذات**
**لاهي في ضنية المالكية ثمش قليل روميات**
**نظيفة لعضا[42] كاغط هي مطبق جديد في غلافات"[43]**

حيث جسد المرأة في بياضه و نصاعته مثل الورق الشديد البياض( الكاغط) ، الذي لم تدنسه و لو نقطة واحدة.

هذا فيما يخص بياض الجسد و البشرة، أما من حيث قامة المرأة فللشعراء آراؤهم.

**القامة و القد:**

لقد أحب الشاعر الجاهلي المرأة الطويلة ، و جعل الكثير منهم طول الجسد مثالا لجمالها فكثرت تشبيهاتهم لقوامها بالغصن في ثباته حينا ، و تمايله حينا آخر يقول النابغة الذبياني:

**صفراء كالسيراء[44] أكمل خلقها كالغصن في غلوائه المتأود"[45]**

فالشاعر هنا يشبه جسد المحبوبة بغصن متمايل، و في ذلك دلالة على جاذبيتها و إثارتها في حركتها و قد تمتع تشبيه جمال القامة بالغصن من حيث اهتزازه و تمايله بحضور قوي و مكثف و يضيف امرؤ القيس:

**تطول القصار و دون الطوال فخلق سوي نما فاعتدل"[46]**

فامرؤ القيس يصف قوام المرأة بالاعتدال، و هي الصفة المفضلة لدى أغلب الشعراء ،أما في الشعر الشعبي فقد كان طول المرأة رمز جمالها، فقرنوه بطول الشجرة و اعتدال قامتها فقيل:

**أزعرة قدّك جبارة[47] في الجريد عند البلدية**
**نشرب اميهة فوارة من إيدك و عيوني حية"[48]**

فطول المرأة الذي هو( القد) مثل الشجرة الباسقة العالية، و ملمح جمالها هذا يحضر في أغلب قصائد الشعر الشعبي.

**الشّعر:** أما إذا انتقلنا إلى ملامح الوجه ، فسنلفي أول ما يبتدئ به الشعراء الجاهليون،أو شعراء الشعر الشعبي هو الشعراء الشعر الأسود الحالك كالليل ، على أن يكون طويلا كثيفا متداخلا ،حيث أن طوله و سواده من عناصر جمال المرأة

وقد شكلت هذه الصور أحد المحفزات البصرية المهمة لإثارة الإحساس الجمالي العميق بمفاتن المرأة وشكلت أحد محاسن الوجه الجميل يقول امرؤ القيس:

**و فرع يزين المتن أسود فاحم أثيث [49]كقنو[50] النخلة المتعثكل**
**غدائره[51] مستشزرات[52] إلى العلا تضل العقاص[53] في مثنى و مرسل"[54]**

فقد تغنى الشاعر بشعر محبوبته الأسود الفاحم الطويل الكثيف، و رؤيته أن كمال حسن المرأة في شعرها و قد قرن امرؤ القيس الشعر بـــ ( عذق النخلة) المتراكب بعضه فوق بعض، ليحيل بذلك إلى الحياة و الإثمار و الخصوبة.

و يضيف عمر بن قميئة متغنيا بذوائب محبوبته قائلا:

**كأن الذوائب في فرعها حبال توصل بها حبالا"[55]**

فجمال المرأة في طول ذوائبها ،و التوائها بعضها ببعض، أما في الشعر الشعبي فيكثر الحديث عن الشعر حتى يحس المتذوق له أن الشعر المسمى ( الغثيث)، هو الميزة الوحيدة الممثلة لجمال المرأة، فتغنى به الشعراء الشعبيون تارة منسدلا و حينا آخر يعجبون بظفائر المحبوبة تتدلى تزينها القصة ،و غالبا ما يشبه بأرياش الطيور يقول مقطع من الشعر الجمعي:

**شاعر قديم و ماني بادي غناي و كلمتي مصوابة**
**غثيثك ريش الرندي [56] أسود دهيس زاد رطابة**
**حايف[57]على الزنود مكدي [58] بادي على مجاري الصابة [59]**

فشعر المحبوبة بشدة سواده مثل ريش الطير، و هو بطوله يتدلى ليصل زنديها مثل أرض يطول نباتها.

مقطع آخر يقول:

**و خدود من شمس عشية تمست و خلت اشعاعات**
**و شعور سود زنزية [60] ريش الظليم[61] ثمة بات " [62]**

الشاعر يربط معالم جمال محبوبته بما هو موجود في الطبيعة ، و شعرها الأسود الفاحم مثل ريش الظليم.

و في الإطار نفسه يقول هذا المقطع:

**قصة مجعودة حافت على لوشام**
**ما ابهاها سودة قلك ريش انعام " [63]**

حيث روعة الشعر تتبدى في انسداله ، تعلوه القصة و هي" الشعر الذي فوق الجبين" [64]، و الشاعر عبر عن إعجابه بشعر محبوبته الأسود تزينه القصة، و دائما يشبه بريش الطير لما بينهما من تشابه.

**العيون:** أما العيون فقد استأثرت بما أبدعه الشعراء في وصف الجمال الأنثوي ، و خاصة السوداء منها إضافة إلى السعة و النجل فعبر الشعراء عن أسرهم بها في ألوان متعددة من الصور و التشبيهات، و رأوا فيهما آية جمال المرأة بل كل جمالها كقول امرؤ القيس:

**تصد و تبدي عن أسيل[65] و تتقي بناظرة من وحش وجرة[66] مطفل[67]**

حيث المعشوقة تعرض عن محبوبها ، فتظهر في إعراضها خدا أسيلا و عيون مثل عيون الظباء.

و يقول عمرو بن قميئة:

**لها عين حوراء في روضة و تقرو مع البنت ارطى[68] طوالا "[69]**

فقد كثر في الشعر الجاهلي التغني بالعين الحوراء، التي يكون جمالها في جمعها شدة البياض إلى شدة السواد و اتساعهما سعة عين الظباء.

و لم ينس الشعراء العينين المزينين بالكحل يقول الأعشى:

**تلألؤها مثل اللجين[70] كأنما ترى مقلتي رئم[71] و لو لم تكحل [72]**

فهذا الكحل في العينين هو السمة الجمالية، التي استهوت الشاعر في ملامح حبيبته، و لم يبعد الشاعر الشعبي عن مثل هذه الأوصاف حيث ربط جمال العيون بعيون الغزلان يقول المقطع الشعري:

**عينين لغزال يفلى على صحرتو القبلية**
**لعفا و لقدال ناري عليك تقعد حية"[73]**

فعيون الغزلان هي أكثر ما يشبه به المحبون عيون محبوباتهم، و تظل العيون السوداء أيضا أروع ما يأسر الشاعر الشعبي حيث يقول:

**بسم الله كيما نبدا بسم الله بولنوار**
**جبتو على كحيل السهدة[74] سميحة و زينها ما صار**
**هادونها قسا و تعدى بعدتني كحلة لنظار" [75]**

إن نجع المحبوبة قد ابتعد ، و لكن سواد عينيها ظل طيفا يراود هذا العاشق، و يطلعنا آخر بأن عيني حبيبته طبيعي والرائي يظن ذلك كحلا يقول:

**ما أسود روامقك [76]يا طفلة من غير مرود[77] التكحيلة**
**تعكي على غزال الدفلة الريم اللي راح يرعى في حلوق[78]نغيلة "[79]**

إن الشاعر مفتون بعيون سوداء, والعيون السوداء الكحيلة معلم من معالم جمال حبيبته، و سوادهما الشديد دون كحل هو سر انجذابه إليهما فبهما أسرت حبيبها.

**الحاجبان:** أما الحاجبان فمن الشعراء من أثاره جمال شكلهما، فصور دقتهما و امتدادهما و حسن تقوسهما يقول الأعشى:

**سجوين[80] برجاوين [81]في حسن حاجب و خد أسيل واضح متهلل"[82]**

العيون السوداء تزداد جمالا حين يزينها حاجبان مقوسان، فتولد صورة جمالية لوجه المرأة.

و قد تفنن الشعراء الشعبيون في وصف جمال الحواجب كأحد الأشياء الحسية التي ولع الخيال الشعبي في التغني بها يقول المقطع الشعري:

**الحاجب و العين تواتو و المضحك[83] بانو سناتو"[84]**

فجمال المراة يظهر من خلال انسجام هذه العيون مع الحواجب، و كثيرا ما يشبه بخط الطالب يقول المقطع:

**شوف الحاجب فوق العين**
**شوف الحاجب كي جبد و حطوا الطالب في القدد**
**جميلة قايد لعرب برا و أراح شوف الزين" [85]**

فالشاعر يجعل حاجبي حبيبته مثل خط الطالب الموصوف بالجودة و الجمال، فيزيدان ملامح المرأة جمالا و جاذبية.

**الأنف:**

لقد درج الشاعر الجاهلي على وضع مقاييس جمالية للأنف، حيث يمنح جمالا متميزا للمرأة يقول طرفة بن العبد:

**و جبين لم يعبه حفه [86] زانه الخد و عرنين[87] أشم" [88]**

حيث الأنف إضافة إلى انه رمز للأنفة و الرفعة، فرمزيته أيضا" تكمن في تشكيله الجمالي و دقته" [89]، و لقد وجد العرب في ارتفاع الأنف و استوائه الصورة الأحسن لجمال المرأة.

أما فيما يخص الشعر الشعبي، فهو لم يشذ عن ذلك و رأى الشاعر الشعبي في دقة الأنف و تناسقه مع بقية أجزاء الجسم أجمل صورة للمرأة يقول المقطع الشعري:

**زينة الخرطوم[90] كيما يصوب برني معروف ليه الجوبة**
**حجاجات [91]قرنوعلى المركب واتوك ها سمح هذوبة**
**الراعف[92] طرشون لمدرب خلى صيدتو معطوبة" [93]**

لقد رأى الشاعر الشعبي في استواء أنف محبوبته و دقته، و تشبيهه بأنف العقاب يصطاد فريسته أجمل ما يصف به هذه الصورة.

**الخدان:** لقد ظهرت صورة الخد في الشعر الجاهلي، كمكمل لصورة الوجه فربط الشعراء جمالهما واحمرارهما و بريقهما بما يوحي بالنضارة و الشباب لدى المرأة الموصوفة بذلك، و هذا ما ظهر عند امرئ القيس الذي نقل لنا تفاصيل حسية كامنة في الخد في قوله:

**و خد لها كحسام صقيل حجلته الصياقل حتى خضل"[94]**

فجمال الخدين في بريقهما و إشراقهما و امتلائهما، و شبه كثير من الشعراء خدود موصوفاتهم بشقائق النعمان لشدة احمرارهما.

و الشعر الشعبي حضرت فيه هذه الصورة ، كما كانت في الشعر الجاهلي حيث شبهوا الخد بالبرق و بالورد و شمس المغيب يقول المقطع الشعري:

**أ خد اللي لاح أ برق اللي لاح**
**أطفلة راكي شويتيني شي اللحا على الجمرات**
**حلي لحزام و دسيني راي تطفى نار الليعات"[95]**

فخد هذه المحبوبة إذا أطلت برق يومض في ليل دهيس، و هناك من جعله مثل الورد الندى في الربيع فقيل:

**يا خد من فتح في الجردة نرجس مسمينو وردة**
**شالى[96] خطوف عقب الرعدة بايت يلوح قاسم لمزان"[97]**

فخد المرأة بتورده مثل الورد، كما هناك من جعله كشمس تهم بالمغيب فقيل:

**و خدود من شمس عشية تمست و خلت اشعاعات"[98]**

فالملاحظ هو أن صورة وصف الخد في الشعر الجاهلي، والشعر الشعبي واحدة و كل منهما وجد في الظـــواهر الطبيعية مشبهات بها.

**الفم و الأسنان:**

أما الثغر فجماله في صفائه و طيبه " و قد تمثل هذا الفم بما فيه من ريق لدى الشاعر الجاهلي على أنـــه منبـــع لماء الحياة و مصدر للخير و الخصب"[99] ، يقول بشر بن أبي خازم:

**يفلجني[100] الشفاه عن أقحوان جلاه غب[101] سارية[102] قطار"[103]**

فقد قرن الشاعر صورة الشفاه و ريقها بصورة المطر، و في ذلك رمز للخصب و الخير و الصفاء.

أما الأسنان البيضاء المعتدلة ، فاستهوت شعراء الجاهلية حيث يقول طرفة بن العبد:

**بادن تجلو إذا ما ابتسمت عن شتيت كأقاحي الرمل غر**
**بدلته الشمس من منبته ردا أبيض مصقول الأشر"[104]**

فالأسنان الصغيرة البيضاء المعتدلة هي ما استثار الذوق الشعري الجاهلي، و كثيرا ما شبهوا أسنان المرأة بالبرد كرمز للون الأبيض الناصع.

و الشعر الشعبي التبسي سار على نفس منوال الشعر الجاهلي في الوصف يقول المقطع:

**الشفة بلا سواك تخضب نيبانها تبرور[105] عام خصوبة**
**خدها براق لاح المغرب وقت لخريف هب شبوبة "[106]**

فشفاه المحبوبة وردية دون سواك ، و أسنانها بيضاء مثل البرد و هي صورة جمالية رائعة رســمها الشــاعر الشعبي.

وعن الأسنان قيل:

**نيبانها ثلج مرسي قرواح[107] بردو زرزاري**
**غطى الملعب و تبسة قولولها ها بنت الغالي"[108]**

فنضارة أسنان المرأة تكمن في نقاوتها و تسوكها لتبدو أكثر بريقا و جمالا.

**العنق و النحر:** لقد درج شعراء الجاهلية على وصف عنق المرأة بالطول و النقاء و النحر بالإشراق يقول قيس بن الخطيم:

**حوراء جيداء[109] يستضاء بها كأنها خوط بانة قصف"[110]**

فطول العنق عبر عن الذوق الشعري الجاهلي، و أتبعه الكثير من الشعراء بعده، أما عن بريق النحر يقول امرؤ القيس:

**مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل"[111]**

فنحر المرأة البراق جعله الشاعر مثل الحلي الذي يوضع عليه حيث يجدب الرائي و يسحره، و في الشعر الشعبي قيل في طول العنق:

**أناس بروا لاها وشام ميّل في إيديه**
**راي رقبة حافت مصلوبة كيلتها ذراعين**
**حتى نشوف انا و نحكر [112] و ما تصور ها جبريل"[113]**

فنظرة الشاعر الشعبي لا تختلف عن مثيلتها عند الشاعر الجاهلي ، فهو الأخر تستهويه الرقبة الطويلة البراقة الرامزة للجمال و كثيرا ما شبه الشعراء العنق الطويل بعنق الغزال فقيل:

**رقبة العراد [114] ما ترعى كان المعفيّة**
**تصعب على الصياد ولفي نا جمعة بيّا"[115]**

فرقبة المرأة التي يصفها الشاعر تشبه الغزال، و في ذلك تلميح جمالي حيث الغزال حامل للصفة الجمالية ذاتها.

**الصدر و النهد:**

لقد افتتن الشاعر الجاهلي بوصف الصدر بأجمل الأوصاف فجعله مثيرا، حيث شبهه تارة بالرمانة لاستدارته و تارة أخرى ببحق العاج لشدة بياضه فقال النابغة الذبياني:

**و البطن ذو عكن لطيف طيّه و الصدر تنفجه بثدي مقعد"[116]**

فجمال الصدر يكون ببروز الثديين، و الشاعر يصفهما و هما يرفعان الثوب في علو يشير إلى حسن القوام و كانت العرب قديما تنسب المرأة إلى النهد فسمتها ناهدا لنهود ثدييها و بروزهما ،و أضحت هذه السمات مقاييس مطلوبة للحكم على جمال الصدر، و الشعر الشعبي خاض في هذا المجال و كان جمال النهدين من بين ما تغنى به شعراؤه عند وصف محبوباتهم يقول علي بن مسعود:

**أعلى صدر ريت انهود تفاح ظل أعلى اهبوبو فات**
**كي تلبس المجبود يوم الحفلة تزينها الحطات"[117]**

فالشاعر الشعبي هو الآخر يعجبه بروز الثديين و تكورهما فيشبههما بالتفاح، و في ذلك كشف عن رغبات حسية و رؤية واقعية لجماله.

**الفخذان و الساقان :** لقد مال الشاعر الجاهلي إلى وصف ساقي المرأة و فخذيها ، حيث تفضيان إلى مكامن السحر و الرونق فالفخذ الجميلة هي اللفاء المكتنزة والساق هي الريا الممتلئة القوية ، و إجمالا فإن الصورة المتخيلة لجمال هذا الجزء من جسد المرأة تتلخص في " استواء ساقي المرأة وامتلاؤهما و نعومتهما و بياضهما"[118]، يقول امرؤ القيس:

**و كشح [119]لطيف كالجديل[120] مخصّر [121] و ساق كأنبوب السّقيّ المذلّل"[122]**

فالسيقان الممتلئة و المكتنزة و الطويلة الناعمة مع خاصرة جميلة ،بهما تكتمل الصورة الجمالية التي رسمها الشاعر لمحبوبته.

و الشاعر الشعبي هو الآخر جذبه من جسد المرأة ساقاها و فخذاها، فأحب طولهما و اعتدالهما و بياضهما و امتلاؤهما فقيل:

**نظيفة لعضا كاغط هي مطبّق جديد في غلافات**
**فخاذها عرصات للجهليّة سلسة السيقان كالشّمعات "[123]**

الشاعر الشعبي يجعل من فخذي حبيبته الممتلئين مثل تمثال منتصب معتدل يعبد، و ساقيها في طولهما و بياضهما مثل الشمعة الناصعة و في هذا التشبيه صورة جمالية رائعة، استحضرتها المخيلة الشعبية.

بعد هذه المقاربة الإجرائية للمتن الشعري الجاهلي والمتن الشعري الشعبي الجزائري ناحية تبسة أنموذجا أستخلص جملة من النتائج أبلورها فيما يأتي:

– الإحساس بالجمال مسألة فطرية كانت لدى الشاعر العربي، حيث النفس الإنسانية ميالة للجمال نافرة من القبيح.

– المرأة احتلت المكانة الأولى من بين تجليات الجميل في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا.

– ثمة مقومات أساسية وجب توفرها في المرأة الجميلة اتّفق عليها الشعر الجاهلي و الشعر الشعبي فأتت متشابهة رغم انفصال الشعرين عن بعضهما واختلافهما .

– جسد المرأة بتشكيله الجمالي البحت عند كلا الشاعرين الجاهلي و الشعبي، أتى تصويرا حيا للطبيعة و هما لذلك قد ارتبطا بها على هذا الأساس أشد الارتباط.

– تصور الشاعر الجاهلي و الشاعر الشعبي لجسد المرأة، كان مبنيا على أنه جسد شعري غير مرتبط بجسد امرأة معينة رغم كونه قد يكون له وجود حقيقي.

– المرأة بالنسبة إليهما هي التمثال الذي صنع دون عيب أو نقص بوصفه مثالا للجمال المكتمل.

– سار الشاعر الجاهلي و الشاعر الشعبي في تتبع أجزاء جسد المرأة على النسق نفسه، و استقيا من الطبيعة مظاهرها التي جذبتهم فشكلا نماذجهما من خلال الموجودات في الطبيعة الحية بأجمل ما فيها من حيوانات و غيرها.

**الهوامش و الإحالات:**

1- شكري فيصل: تطور الغزل بين الجاهلية و الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1982، ص 178.

2- ابن منظور: لسان العرب، ضبط نصه و حققه د خالد رشيد القاضي، دار صبح ، بيروت ، دار إديسوفت، الدار البيضاء، ج 2 ، ط1 ،2006 ، ص 260.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة بدن، المجلد13 ، ص 260- 261.

4- طه، الآية 88.

5- الأنبياء، الآية8.

6- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، دط ، 1992 ، مادة جسم ، المجلد 12، ص99.

7- ابن منظور: لسان العرب ، مادة بدن ، المجلد 13 ، ص 47-48.

8- العلوي هشام:الجسد بين الشرق و الغرب، نماذج و تصورات، منشورات الزمن، مطبعة النجاح، المغرب،د ط،2004، ص 54.
9- ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد، ترجمة نبيل أبو مصعب، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان ، ط1، 2011، ص 63.
10- محمود محمد حسين: شعرية الجسد الجاهلي( فحص أثر الجسد في القصيدة الجاهلية)، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، الأردن ، ط1، 2013- 2014 ،ص 36.
11- المرجع نفسه، ص 38.
12- الغذامي عبد الله محمد : ثقافة الوهم ( مقاربات حول المرأة و الجسد و اللغة) ، المركز الثقافي العربي،ط1 ،1998 ، ص 70.
13- المرجع نفسه ،ص 70.
14- محمود محمد حسين ، مرجع سابق ، ص 37.
15- المرجع نفسه ، ص39.
16- محمود محمد حسين: شعرية الجسد( عصر صدر الإسلام- العصر الأموي) فحص أثر الجسد في هـذين العصـرين،دار مجـدلاوي للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1 ،2013- 2014 ،ص 22.
17-الجراري عباس بن عبد الله : الزجل في المغرب(القصيدة) ، مكتبة الطالب، الرباط ، المغرب، ص 198.
18- المرجع نفسه ، ص 210.
19- محمود محمد حسين : شعرية الجسد الجاهلي، ص 38.
20- شتيت: ثغر مفلج الأسنان
21- شرح ديوان طرفة بن العبد، تقديم و شرح د/ سعدي الضناوي، دار الكتاب العربي، ط1997،2، بيروت، ص150.
22- شغاميم:
23- ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، ط2003،3، ص 42.
24- الجوف: الجسد، الجسم.
25- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
26- شهبة: يقصد بها الفرس.
27- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
28- قضاني: غلبني.
29- لاطها: لامسها.
30- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
31- يضبح: يحدث صوتا.
32- تدّهكل: تمشي بتثاقل.
33- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
34- محمود محمد حسين، شعرية الجسد الجاهلي، ص 41.
35- المرجع نفسه، ص 75.
36- مهفهفة: اللطيفة الخصر الضامرة البطن.
37- مفاضة: العظيمة البطن، مسترخية اللحم.
38- ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت،ط2003،3،ص 42.
39- عبد الرحمان نصرت :الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، راجعه د. عاطف كنعان، د. نبيل حسـنيندار كنـوز المعرفة ، عمان ،2012، ص60.
40- ديوان النابغة الذبياني، شرح و تقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2004،1، ص 17.
41- محمود محمد حسين، شعرية الجسد الجاهلي، ص 43.
42- لعضا: الأعضاء.
43- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
44- السيراء: الحريرة الصفراء.
45- ديوان النابغة الذبياني، مرجع سابق، ص 78.

46-محمود محمد حسين، شعرية الجسد الجاهلي، ص 45.
47- جبارة: الشجرة العالية.
48- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
49- أثيث: كثير.
50- قنو النخلة: كباسة النخلة.
51- غدائر:ج غديرة: الفصيلة من الشعر.
52- مستشزرات: الاستشراز: الارتفاع.
53- العقاص: ج العقيصة: الفصيلة المرتفعة من الشعر.
54- ديوان امرئ القيس، مرجع سابق، ص44.
55- محمود محمد حسين ، شعرية الجسد الجاهلي، ص41.
56- الرندي: نوع من الطيور.
57- حايف: منسدل.
58- مكدي: مغطي.
59- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
60- زنزية: شديد السواد
61- الظليم: ذكر النعام
62- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
63- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
64- خريف محي الدين: الشعر الشعبي التونسي( أوزانه و أنواعه) ، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية الليبية ، 1991 ، ص77.
65- أسيل: الأسالة: امتداد و طول الخد
66- وجرة: موضع
67- ديوان امرئ القيس، ص43.
68- ارطى: شجر من شجر الرمل واحدة الطأة.
69- الحسن عبد الله بن أحمد الزوزني، مرجع سابق، ص32-33
70- اللجين: الفضة.
71- رئم: الظبي الذي في عينه سواد.
72- ديوان الأعشى، مرجع سابق، ص141.
73- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
74- السهدة: العين
75- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
76- روامق:العيون
77- مرود: أداة الكحل.
78- حلوق: أماكن بعيدة.
79- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
80- سجوبين: ساكنتيت فاترتين.
81- برجاوين: واسعتين صافيتين.
82- ديوان الأعشى،ص 141.
83- المضحك: الفم.
84- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
85- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
86- حفّه: أحاط به.
87- عرنين: الأنف.

88- محمود محمد حسين، شعرية الجسد الجاهلي، ص47.
89- المرجع نفسه، ص 48.
90- الخرطوم: الأنف.
91- حجاجات: الحواجب.
92- الراعف: الأنف.
93- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
94- محمود محمد حسين، شعرية الجسد الجاهلي، ص 47.
95- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
96- شالى: ومض.
97- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
98- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
99- محمود محمد حسين، شعرية الحسد الجاهلي، ص49.
100- يفلجن: يفتحن.
101- غب: بعد
102- سارية: السحابة التي تأتي ليلا
103- محمود محمد حسين، شعرية الجسد الجاهلي، ص48.
104- ديوان طرفة بن العبد، مرجع سابق، ص150.
105- تبرور: برد.
106- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
107- قرواح:شديد البرودة.
108- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
109- جيداء: طويلة العنق.
110- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق د/ ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت، دط، دت،ص 107.
111- ديوان امرئ القيس، ص42.
112- انحكّر: أقيس.
113- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
114- العرّاد: الغزال.
115- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
116- ديوان النابغة الذبياني،ص
117- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.
118- - محمود محمد حسين: شعرية الجسد( عصر صدر الإسلام- العصر الأموي)، ص 97
119- كشح: الخاصرة.
120- الجديل: زمام يجعل في أنف البعير ليقتاد به.
121- مخصّر: الدقيق الوسط
122- ديوان امرئ القيس، ص 45.
123- مادة شعرية مجموعة ميدانيا من قبل الباحثة.